obeikandl.com

الفصل الأول .

مفهوم الحضارة .

- أصول الحضارة الإسلامية .
- خصائص الحضارة الإسلامية .

obeikandl.com

الفصل الأول

مفهوم الحضارة

الحضارة[١] فى مفهومنا العام – هى ثمرة كل جهد يقوم به الإنسان لتحسين ظروف حياته ، سواء أكان المجهود المبذول للوصول إلى تلك الثمرة مقصود أم غير مقصود ، وسواء أكانت الثمرة مادية أم معنوية ٠

وهذا المفهوم للحضارة مرتبط أشد الارتباط بالتاريخ لأن التاريخ كما سنرى هو الزمن ، والثمرات الحضارية – مادية أم معنوية – تحتاج إلى زمن لكى تطلع ، أى أنها جزء من التاريخ ، أو نتاج جانبى للتاريخ ، وكما أن ثمر الزروع والأشجار لا يطلع إلا بفعل الزمن ، أو لا يمكن أن تزرع وتحصد ثمرة ما فى نفس الوقت ، فإن ثمار الحضارة لا تظهر إلا بإضافة الزمن إلى جهد الإنسان[٢] ٠

وكلمة حضارة لها أكثر من تعريف أيضا فهى الإقامة فى الحضر والحاضرة هى المدينة ، والمدينة تعنى الحضارة واتساع العمران ، وكلمة تمدن تعنى العيش حياة أهل المدن والأخذ بأسباب الحضارة[٣] والحضارة أيضا نظام اجتماعى يعيش الإنسان على الزيادة من إنتاجه الثقافى[٤] كما أنها الروح العميقة للمجتمع وتقوم على تأكيد الأصالة الروحية والحقيقة الفلسفية والعاطفية للإنسان[٥] ٠

وعلى الرغم من تعدد تعاريف الحضارة ومدلولها ، فهى مستوى التقدم الذى بلغه المجتمع فى ميدان الفكر والاجتماع والاقتصاد والتكنولوجيا[٦] ٠

والحضارة التى ندرسها توصف بالحضارة العربية أو الحضارة الإسلامية وهذا لا يعنى أن سكان الجزيرة العربية الذين دخلوا فى الإسلام هم وحدهم الذين أسهموا فيها ، فالمقصود بالحضارة العربية الإسلامية ، أنها تشمل جميع الشعوب التى تحدثت العربية وعاشت فى دار الإسلام فى ظل الخلافة الإسلامية بصرف النظر عن الجنس والدين ، ولذلك يدخل فيها مع العرب الأجناس الأخرى حيث حوت أراضى الخلافة الإسلامية العديد من العناصر بجانب العرب ، مثل الفرس والمغاربة ، والسودانيون والأقباط ، والنصارى واليهود وأيضا أصحاب الديانات الأخرى[٧] .

وقد وصفت هذه الحضارة بالعربية لوجود ما ينتمى للعربية فيها وأهم ذلك هو اللغة العربية التى حفظت منها أصول هذه الحضارة وفروعها ، فقد نزل القرآن الكريم باللغة العربية وبها كتب

﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ ﴾[٨]

وبها دونت السنة النبوية وحفظت ، وتعلم بها من اعتنق الإسلام وانضوى تحت لواء هذه الحضارة وكانت اللغة العربية لغة الدول القائمة بها ، ولذا فلا غرابة أن تكون العربية ضمن تسميتها ، وكان لفظ عربى والعربية رديف لفظ الإسلام[٩].

ووصفت أيضا بالعربية لأنها قامت فى البيئة التى كان العرب يسكنونها ومنحوها جهدهم وجهادهم ، وكانوا رسلها ، وحملوها إلى الناس ، وعلى أكتافهم قامت دولتها التى اتسعت وبلغت المحيط الأطلسى وامتدت نحو أوربا وبلاد السند والهند ، وأفريقيا وخدموها ، خلفاء وسلاطين وأمراء ووزراء ، وأهل صناعة وزراعة

وتجارة ، ومعلمين ومفكرين ، وبذلك أخذت هذه الحضارة من العربية هوية الوجه واللغة[١٠] .

وعرفت بالحضارة الإسلامية للفكر الإسلامى الذى كان مضمون هذه الحضارة ومحتواها وأساسها الذى قامت عليه ممثلا فى القرآن الكريم ، وما يترتب عليه من ثراء ثقافى ، وتشعب فكرى وتنوع وتطور الكلام وفلسفته مما زاد الحياة الفكرية ثراء[١١] .

١ . أصول الحضارة الإسلامية :

إنه ليس من السهل معرفة أسس الحضارة الإسلامية وذلك لأنها كأى حضارة لم تظهر من عدم ، وإنما سبقتها حضارات هى مصادرها ، فالحضارة أخذ وعطاء ، ونتيجة مشتركة لعناصر قديمة وجديدة ، ولذا فإن أسس الحضارة الإسلامية ترجع أولا إلى العرب ، وثانيا إلى سكان البلاد التى فتحها العرب[١٢].

أقام العرب المسلمون حضارة جديدة هى أعظم حضارات العالم فى العصور الوسطى ، وهذه الحضارة العربية الإسلامية هى التى جعلت العصور الوسطى عصور مضيئة بالقياس إلى ما سبقها فى غرب أوربا أو أخر أيام الدولة الرومانية القديمة

ومع أن العرب المسلمين أخذوا من الحضارات التى سبقتهم أو عاصرتهم شيئا غير قليل فإنهم ما أخذوه من هذه الحضارات بالتغيير والتبديل والحذف والإضافة ونجم عن ذلك كله حضارة جديدة لها طابعها الخاص وهو طابع الإسلام والعروبة واللغة العربية التى بها القرآن الكريم[١٣] .

وترجع هذه الحضارة إلى الأصول الآتية :

١- الأصل الإسلامى ٠

٢- الأصل العربى ٠

٣- المؤثرات الفارسية ٠

٤- المؤثرات اليونانية الرومانية ٠

الأصل الإسلامى :

الإسلام عقائد وأعمال :

فالعقائد: ١- تنظيم الإيمان بإله واحد هو رب العالمين ٠

٢- والإيمان بالبعث بعد الموت ٠

٣- والإيمان بالثواب والعقاب فى الدار الآخرة ٠

والأعمال : تنقسم إلى عدة أنواع :

الأول : أعمال تنزل منزلة العقائد وهى الصلاة والزكاة وصوم رمضان ، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلا ٠

الثانى : أعمال تتصل بالأخلاق وهى التحلى بمكارم الأخلاق وآداب اللياقة، والوفاء بالعهد ، والصبر فى الشدائد والعدل ، وعفة النفس ، والأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ٠

obeikandl.com

الثالث : أعمال عبارة عن تطبيق ما جاء به الشرع خاصة بالأسرة أو المعاملات التى تجرى بين الناس ، والجنايات التى تقع فى المجتمع وشئون السلم والحرب ٠

وللإسلام أثر بالغ فى الحياة العقلية للمسلمين ، وبفضله نشأت بين المسلمين من عرب وغير عرب وحدة فكرية رائعة ، ومن علاماتها علوم التفسير والحديث والفقه ، والسير والمغازى أو علم التاريخ ، والإسلام عامة يحث على التدبر والتفكير فى الكون الذى نعيش فيه ، وفى ظواهره المختلفة ، فأدى ذلك إلى الاشتغال بالعلوم الكونية على اختلافها ، وهى الجغرافيا والكيمياء والفيزياء ، والفلك والطب ، والإسلام هو الذى انطبعت حياة المسلمين بطابعه ، سواء فى ذلك نظمهم العامة ، السياسية والإدارية والمالية ، وأحوالهم الاجتماعية ، وكذلك فنونهم وآدابهم ٠

والدين أساس الحضارة ، وإذا تعمقنا فى منشأ الفلسفة والعلوم والفنون ، وكل فرع من فروع المعرفة الإنسانية وجدنا أن تقدمها وتطورها ونضوجها كان ذلك كله متأثرا فى كل عصر من العصور بالعقيدة الدينية[١٤] ٠

والدين أحكم مرشد وأهدى قائد للإنسان إلى الحضارة والمدنية القائمة على المعارف الحقه والأخلاق الفاضلة ، وهو أقوى دافع للأمم إلى التسابق لغايات المدنية ، وأمضى الأسباب بها إلى طلب العلوم والفنون والآداب ٠

والإسلام دين يتجاوب مع أرفع الأنظمة وأفضل التقاليد ، ويعمل لخير الإنسانية كافة ، ووسعت رحابه الملل والنحل المتباينة ، فعاشت تحت ظله فى أمن وهدوء وسكينه ، والإسلام يعمل على علاج المشاكل الاجتماعية والاقتصادية

والسياسية فى العالم ، إذ أنه نظام مؤسس على قواعد اجتماعية وعمرانية لا نظير لها ، وهو دين كل عصر وكل مكان ٠

والإسلام يتفق مع التطور الإنسانى والتقدم البشرى ، ولا يتعارض مع العقل أو المنطق أو مقتضيات الحياة ٠

٢-الحضارة العربية :

يأتى بعد الدين الإسلامى ، ينبوع ثان من الينابيع التى أسهمت فى الحضارة الإسلامية ، وذلك هو حضارة العرب ، وإن كان بطبيعة الحال أقل شأن من الينبوع الأول ، إلا أنه كان ذا أثر واضح فى تلك الحضارة ٠

والعرب يقصد بهم سكان الجزيرة العربية داخلها وأطرافها ، وهم العنصر الفعال فى الدولة الإسلامية ، وخاصة فى صدر الإسلام ، وكان لهم ثقافة انفردوا بها، ومثال لذلك أن حرصهم على أنسابهم أدى إلى قيام على الأنساب ، لمعرفة أنساب القبائل والأفراد ، وظهرت فى الأنساب كتب لابن الكلبى ، وابن حزم وغيرهما[١٥] ٠

وللعرب فى الجاهلية والإسلام العديد من الشعراء الذين حملوا لواء الشعر العربى ، وهذا الشعر هو ديوان أخبار العرب وسجل أحداثهم ، وكنز لغتهم وبلاغتهم، وللعرب تراث وفير من الأمثال والحكم ، سجلت فى كتب أهمها كتاب الأمثال للميدانى[١٦] ٠

وأسهم العرب فى بناء الحضارة الإسلامية بالآداب والعادات التى اتصفوا بها من حيث الشجاعة ، والعفة ، وحفظ الجوار ، والكرم ، واحترام المرأة والولع

بالشعر، وفصاحة اللسان، وشاعت هذه الصفات الحميدة فى المجتمع الإسلامى[١٧]

وكان للعرب حضارات قديمة فى أطراف الجزيرة العربية ففى :

- الشرق كانت الكلدانيين والأشوريين ٠
- وفى الشمال وجدت حضارة الآرميين والكنعانيين والأنباط ٠
- وفى الجنوب وجدت حضارة معين وسبأ وحمير ٠
- وفى الغرب قامت مدن متقدمة مثل الثموديين والمكيين وغيرهما[١٨] ٠

٣- الحضارة الفارسية والهندية :

وتمثل الينبوع الثالث الذى أثر فى الحضارة العربية الإسلامية فى حضارة بعض الأمم الأسيوية المتحضرة التى دخلت فى الإسلام، ولا سيما الفرس والهنود المسلمين ٠

والفرس أمة ذات حضارة قديمة ازدهرت خلال عصر الدولة الساسانية التى نبغت فى فنون السياسة والإدارة والحروب، ومظاهر الترف والرفاهية، وكان لها دين رسمى هو الزرادشتى ولغة خاصة هى الفهلوية[١٩] ٠

ولما دخل الفرس فى الإسلام أقبلوا على دراسة مبادئه وعلومه، وتعلموا اللغة العربية حتى ساهموا فى الحركة العلمية والتأليف فى مختلف العلوم، ولذا أفادوا الحضارة الإسلامية فوائد جمة، فنحن نجد الكثير من الألفاظ الفارسية نقلت بذاتها إلى اللغة العربية[٢٠] ٠

كما انتقل فن الغناء إلى الحضارة الإسلامية من الفرس ونبغ الكثير من الفرس فى الشعر، مثل إسماعيل بن يسار وأبى نواس ، وابن المقفع وغيرهم .

وخلال العصر العباسى زادت حركة تأليف الفرس الموالى فى مختلف العلوم الإسلامية وانتقلت إلى الحضارة العربية الإسلامية عن طريق هذه الحركة بعض العلوم عن الهنود وغيرهم من الشعوب الأسيوية المتحضرة[٢١] .

٤-الحضارة اليونانية الرومانية :

أما الينبوع الرابع للحضارة الإسلامية فهو الحضارة اليونانية التى كان لها أثرها على الحضارة الإسلامية ، فاليونان أمه عريقة فى الفلسفة والعلوم ، والفنون والآداب ، حيث نبغ منهم سقراط وأفلاطون وأرسطو، ونقل السريان فى الشام والعراق إلى لغتهم السريانية الكثير من المؤلفات اليونانية قبل الإسلام ، مثل الفلسفة والطب والرياضيات والكيمياء والفلك والجغرافيا ، وعلقوا عليها وشرحوها.

تم إنشاء المدارس لتعليم الطلاب هذه العلوم فى الحواضر الكبرى ، منها انطاكيه وقيصرية ونصيبين والرها ، كما قامت بالإسكندرية مدرسة لتعليم الطب.

وخلال العصر العباسى عهد الخلفاء العباسيون ولا سيما الخليفة المأمون إلى طائفة السريان نقل الكتب اليونانية فى العلوم المذكورة إلى اللغة العربية ، فنقلوا الكثير منها إلى العربية عن السريانية ، وبعضها عن اليونانية رأسا وبذلك انتقلت الثقافة اليونانية إلى المسلمين[٢٢] .

وهكذا رأينا أن الحضارة العربية الإسلامية لم تظهر من عدم ، وإنما سبقتها حضارات هى مصادرها ، فالحضارة القائمة بوجه عام تكون خلاصة أو انتقاء لما فى الحضارات السابقة ٠

خصائص الحضارة الإسلامية :

١. تميزت بالرقى والتقدم والعدالة الاجتماعية التى استمدت من القرآن والسنة والأخذ بالوسائل التى تؤدى إلى النهوض بالبشر ٠
٢. شمولها – حيث علا شأنها بالإسلام ، وازدهار الثقافة العربية وتقدم العمران الذى تجلى فى المنشآت المدنية والدينية ٠
٣. الحضارة الإسلامية حضارة عامة ٠ فلم يكن انتشار الإسلام مقصورا على الدولة العربية ، بل امتد وتجاوزت الحدود إلى الصين والهند ٠
٤. الحضارة الإسلامية حضارة عامة فلم تقتصر على عصر معين ، ولم يكن من أهدافها القضاء على الحضارات السابقة بل تفاعلت معها فشملتها، وأبقت على أفضل جوانبها ، فاستوعبت حضارتى الفرس والروم السابقتين[٢٣] ٠
٥. أنها حضارة إيمانية ، انبثقت من العقيدة الإسلامية ٠ فاستوعبت مضامينها وتشربت مبادئها واصطبغت بصبغتها ، فهى حضارة توحيدية انطلقت من الإيمان بالله الواحد القهار ٠ فكان الدين الحنيف من أقوى الدوافع إلى قيامها وإبداعها وازدهارها ٠
٦. أنها حضارة معطاء ، أخذت واقتبست من الحضارات والثقافات الإنسانية التى عرفتها شعوب العالم القديم ، وأعطت عطاء زاخر بالعلم والمعرفة ٠ وكان

عطاؤها لفائدة الإنسانية جمعاء ، حيث لم تفرق بين أصحاب الديانات المختلفة

٧. أنها حضارة متوازنة ، وازنت بين الجانب الروحى وبين الجانب المادى فى اعتدال هو طابع من طوابع الفكر الإسلامى وميزه من مزايا الحضارة الإسلامية، فى كل العصور ، فلا تفريط ولا إفراط ، ولا غلو بغير حق ، ولا اندفاع فى تهور .

٨. أنها حضارة إنسانية المنزع عالمية فى آفاقها وامتداداتها لا ترتبط بإقليم جغرافى، ولا بجنس بشرى ولا بمرحلة تاريخية ، ولكنها تحتوى جميع الشعوب والأمم ، وتصل آثارها إلى مختلف البقاع ، فهى حضارة يستظل بظلالها البشر جميعا ، وتصل آثارها إلى كل من يصل إليه عطاؤها ، فالحضارة الإسلامية قامت على أساس أن الإنسان أهم مخلوقات الله ، وأن جميع الأنشطة البشرية لابد وأن تؤدى إلى سعادته ورفاهيته ، وأن كل عمل يقصد به تحقيق هذه الغاية.

٩. الحضارة الإسلامية حضارة دائمة ، حيث دوامها واستمرارها من مبادئ الدين الحنيف ، لأنها نابعة منها ، ولصيقة بها[٢٤].

مصادر ومراجع الفصل الأول

١. **الحضـــارة** : بكسر الحاء وفتحها ، مشتقة من الفعل حضر ، وحضر لغة ضد غـاب، ومنـه الحضـر والحاضـرة ، والحضـرة والحضـارة بمعنـى المـدن والقـرى والريف ، وسميت بذلك لأن أهلها حضروا الأمصار ومساكن الديار التى يكون لهـا بهـا قـرار أى سكن وإقامة ، وعليـه كانـت الحضـارة لغة تعنى الإقامة فى الحضر، خلافا للبادية ، ابن منظور : لسان العرب مادة حضر .

٢. **حســـن مـــؤنس** : الحضارة دراسة فى أصول وعوامل قيامها وتطورها ، عالم المعرفة (٢٣٧) ، الكويت ، ١٩٩٨ ، ص١٥ .

٣. **المعجم الوسيط** : مادة حضر ، **أحمد حمدى محمود** : الحضارة ، ص٦ .

٤. **ول ديورانت** : قصة الحضارة ، جـ١ ص٣ .

٥. **محى الدين صابر** : التغير الحضارى وتنمية المجتمع ، ص٤١ .

٦. **سعيد عاشور** : مذكرات فى مادة الحضارة العربية الإسلامية ، ص١ .

٧. **عبد المنعم ماجد** : تاريخ الحضارة الإسلامية فى العصور الوسطى ، ص ١١ .

٨. **سورة يوسف** : آية ٢ .

٩. **محمد بطاينة** : فى تاريخ الحضارة العربية والإسلامية ، ص ٢٣ .

١٠. **محمد بطاينة** : فى تاريخ الحضارة العربية والإسلامية ، ص ٢٣ .

١١. **عبد المنعم ماجد** : تاريخ الحضارة الإسلامية فى العصور الوسطى ، ص ١١ .

١٢. **محمد ضيف الله** : فى تاريخ الحضارة العربية الإسلامية ، ص٢٣ .

١٣. **إبراهيم العدوى** : الوطن العربى وحضارته فى العصر الإسلامى ، ص١٩٠ ، **إبراهيم سلمان الكروى** : المرجع فى الحضارة العربية الإسلامية ، مركز الإسكندرية للكتاب ، ١٩٩٩ ، ص١٦ ٠

١٤. **على حسنى الخربوطلى** : العرب والحضارة ، ص ٥٠-٥٣ ٠

١٥. **على حسنى الخربوطلى** : العرب والحضارة ص٤٠ ٠

١٦. **إبراهيم العدوى** : تاريخ الوطن العربى وحضارته ، ص١٩٠ ٠

١٧. **عبد المنعم ماجد** : تاريخ الحضارة الإسلامية، ص١٣ ، ١٤ ، **الخربوطلى** : العرب والحضارة ، ص٢٨

١٨. **عبد المنعم ماجد** : تاريخ الحضارة الإسلامية ،ص١٥ ، **إبراهيم سلمان الكروى** : المرجع فى الحضارة ، ص١٨

١٩. **إبراهيم سلمان الكروى** : المرجع فى الحضارة ، ص١٧ ٠

٢٠. **جمال الدين الفندى** : تراث المسلمين فى ميدان العلوم ، ص٢٤٦ ٠

٢١. **إبراهيم سلمان الكروى** : المرجع : ص ١٨ ٠

٢٢. **جمال الدين الفندى** : تراث المسلمين فى ميدان العلوم ، ص ٢٤٦ ٠

٢٣. **إبراهيم العدوى** : تاريخ الوطن العربى وحضارته ، ص ١٩٦ ٠

٢٤. **علي حسني الخربوطلي** : العرب والحضارة ، ص ٤٢

obeikandl.com